

الفصل السابع

شعر في مدح وذم الشاي

1. قصيدة الشيخ « عيسى بن محمد » يطري فيها الشاي.
2. قصيدة للشاعر « حمدا بن الصادق » يمدح فيها الشاي.
3. قصيدة للشاعر « سليمان الحوات » في نفس المضمون.
4. قصيدة للشاعر « خليفة بن مصطفى » في نفس المضمون.
5. قصيدة للشاعر « محمد أفالت » يذم فيها شرب الشاي.

obeikandi.com

مدح الشاي وذمه

لون جديد تغنى به شاعر السودان الغربي؛ ألا وهو ما يعرف
بالأتاي خمر الصحراء

الرجل في جنوب الصحراء ما يهيمه في يومه إلا شيئين؛ شرب الشاي الأخضر
في الصباح مع صحن من اللحم المشوي. وسألت العديد من أهالي تنبكت عن
تناولهم للشاي واللحم المشوي يومياً فأجابوني: وكيف لنا أن نقاوم عنت الصحراء.
والرجل الصحراوي عرف بالكرم المفرط، فأول ما يقدمه لضيفه كوب الشاي
الأخضر، ولذلك فإن الشاي عندهم رمز من الرموز التي لها وقع في أنفسهم.
ورجل الصحراء يستطيع أن يبقى بدون أكل لفترة من الزمن، ولكن لا يستطيع أن
يبقى بدون شرب الشاي. . . ولذلك نجدهم دائماً يبحثون عن بديل للشاي بحرق
الحلبة بدلاً من الحشيشة⁽¹⁾ أو بحرق الزعطر. . . إلخ. . .

فهذا شاعرنا عيسى بن محمد يطري الشاي بقصيدة تحرك بها وجدانه تتكون من
خمسة عشر بيتاً.

مطلعها:

إن الأتاي لمذبة للعار عن كل ذي قدر من الأخيار
ويقول شاعر آخر يمدح الشاي، وهو الشاعر حمداً بن الصادق في قصيدة تتألف
من ثمانية عشر بيتاً:

ألا لهف نفسي من مبيتي ليلة على القر والمفتول ناء وشاسع

(1) الحشيشة: هي المادة التي يصنع منها الشاي.

ويقول الشاعر سليمان الحوات وخليفة بن المصطفى أبيات في نفس المضمار،
فأدباء الصحراء منهم من يمدح الشاي وما أكثرهم، وهناك من يذم شربه ويعدّ
شربه بدعة شنيعة، من بين هؤلاء الشعراء الفقيه محمد أفالت، وقد نظم قصيدة
تتكون من تسعة أبيات مطلعها:

أثناء شربه يلهو كسكرانا ولا يزال من الضلال حيرانا

ورد عليه الشاعر عيسى بن محمد بقوله:

أتاي من نعم الرحمان مولانا لا ينبغي كفرها سرا وإعلانا

وما احتفل شاعر الصحراء بالشاي إلا لقيمته، ذلك أنه يشكل غذاء تفوق
فائدته التغذية لتحقيق نشوة خاصة، يتذوق معها الصحراوي كل معاني الأصالة
والارتباط بعادات وتقاليد وتاريخ بلاده.

يقول عيسى بن محمد:

عن كل ذي قدر من الأخيار	إن الأتيا لمذبذبة للعار
من كان ذا علم وذا مقدار	هو عُدّة للضيف حقاً سيما
ما دونه فحذار منه حذار (1)	فعليك بالفتول لا تركن إلى
فتعده للشرب أو للعار (2)	لا تغترر بسواه من كمركب
للماء محترسا من الأكدار	والزم من الفتول أجوده وكن
طعم الأتاي الأجود المختار	وتجنب النعناع فهو مكدر
كالطبّل والبراد والمجمار (3)	ولتلتزم تكميل آلة شربه
تنظيفها كلا من الأقدار (4)	وكؤوسه والزيّف والمغراج مع
إلا إذا كنت في الأسفار	واحذر من الإبريق فهو مكدر
وعشية تسلم من الإقتار	والزم إدامة شربه وقت الضحى

(1) الفتول : من أجود أنواع الشاي.

(2) المركب : نوع من أنواع الشاي، والعار كلمة حسانية معناها الضيوف.

(3) الطبّل والبراد والمجمار : أدوات الشاي.

(4) الزيّف : المنشفة. والمغراج : أداة من أدوات الشاي.

وحديثها صاف من الإضجار
وافوك تسلك مسلك الأحرار
واغفر لنا ما كان من أوزار
قد جاء بالبشرى وبالإنذار
والتابعين أولي العلى الأبرار

بجماعة فضلاء يحسن حالها
وأقمه حتما للأفاضل حيثما
يارب فارزقنا حالاً واهدنا
ثم الصلاة مع السلام على الذي
والآل والأصحاب خير أولي النهى

* * *

ويقول حمنا بن الصادق:

(1) على القُرم والمفتول ناء وشاسع⁽¹⁾
(2) وساس⁽²⁾ تجري من لظاها المدامع⁽²⁾
(3) تناهت لديه بالهموم الدوافع⁽³⁾
ومغراجهم وقت الغدية طالع
وبرادهم بين الأجرة لامع
نجوم الدراري حين تصحو المطالع
بوابر بحر سبقه الشاه شائع⁽⁴⁾
(5) وخضراء ذاك الوصف للفضل جامع⁽⁵⁾
(6) تُغور العذارى حين تنضى البراقع⁽⁶⁾
(7) ينباع⁽⁷⁾ شعر من طويل هوامع⁽⁷⁾
تظللنا منها السيوف القواطع
حرام فمفهوم له لك شافع
كما قاله الحجاج والله مانع
لهم شربه كلا ولا عمر ودافع

ألا لهف نفسي من مبيتي ليلة
مبيت يضاهي ليل صبّ تدعه
إذا المرء لم يعد شذاه فإنه
وبينا أمني النفس وافيت فتية
وكاساتهم صف على الطبل واحد
كما يلعب البدر التمام وحوله
رموا فيه كيل الكأس مما تضمنت
وجرد ذو درعين بيضا نقية
وتبسم في ذاك الكؤوس كأنها
فلما رشفت الكأس منها تفتقت
فقالوا: أعنا بالدليل، فإننا .
فقلت لهم يكفي لنا كل مُسكر
أليس بيت الله يشرب دائماً
له من هوى الطاغوت لأزيد مانع

(1) القرم : الضمر . وشاسع : بعيد .

(2) الصبا : العاشق . وتدعه : تدفعه دفعاً عنيفاً .

(3) شذاه : رائحته .

(4) كيل الكأس : ملؤه .

(5) ذو درعين : معناه حجر السكر في لفافتين من ورق أخضر .

(6) البراقع : جمع برقع ؛ وهو ما تضعه المرأة على الرأس .

(7) هوامع .: سوائل .

يُصلى به إلاّ علته الروادع
كفيلٌ ولا منه الأتى والمجامعُ
قليلًا وفي ملء السقا هو هاجعُ
من الجهل، والجهالُ قدمًا تنازعُ

ولا يقدر العاصى صلاة بدونها
سوى الباطن الذي له ليس وحده
ولا غرو أن الماء يسمع صوته
كذلك إنكار المسائل صادرُ

* * *

ويقول الشاعر سليمان الخوات:

حلال وليس في الحلال ملامُ
شفاءُ النفوس إن عراها سقامُ
فمن ثمّ كلُّ شاربيه كرامُ
وقال بها في السالفين إمامُ

وهيموا بشربكم أتاي فإنهُ
وكونوا عليه مدمنين فإنهُ
يثير نشاطا يسط الكفّ بالندى
إلى غير هذا من منافع جربت

* * *

ويقول آخر:

تُهيج للعشاق ما في الضمائر
ولا عيب فيها غير جبر الخواطرِ

شربنا كؤوساً يعلمُ الله أنها
منعنة حمراء كالخمر طعمها

* * *

ويقول خليفة بن مصطفى:

شربنا ولم نعبأ مقالة ذى عدل⁽¹⁾
مقاتلها للنمل في سورة النملِ

إذا لم نجد إلا النملة مشربا
فإن وجد المفتول قلنا لنملةٍ

* * *

ويقول آخر:

لم يجد شيئا وإن جلت فوائدهُ
ولا يعاب وإن قلت موائدهُ
والدهر لا بد أن ترعى عوائدهُ

الضيفُ دون الأتاي اليوم مُكرمهُ
ومن سقى ضيفه الأتاي أكرمه
بذا جرت عادة الأيام وانسحبت

* * *

(1) النملة : نوع من ورق الشاي رديء المذاق.

الفقيه محمد أفالت حرم الشاي وجعل شربه بدعة شنيعة، ونظم في ذلك قصائد منها قوله:

ولا يزالُ من الضَّلال حيرانا وتالييه ولا من فعل عُثمانا والتابعين لهم عدلا وإحسانا ولا من الغرِّ من أبناء موسانا⁽¹⁾ من بعد مشربهم فقراً وخذلانا عضوا أناملهم ظلماً وعدوانا ولم يروا مغرجاً جفوه مجّانا أوراقُهم يحسبون إعدم حرمانا على الكرام إذا يعطونهم كانا⁽²⁾	أتاء شاربهِ يلهو كسكرانا أتاء كم يكُ من أفعال سيدنا ولا عليّ ولا الأصحاب كلهم ولا إمام بحمد الله مسجده أتاء بدعة أقوام سيورثهم وإن أتاهاهم خليلٌ ناصحٌ لهم إذا أتوا رجلا سمحا خلّائقه يذمُّ بعضُهم بعضاً إذا نفدت وهم يمنون والإقتار شيمتهم
--	--

* * *

ورد عليه عيسى بن محمد بقوله:

لا ينبغي كُفْرها سرّاً وإعلانا دين قويم عن المختار وافانا لم يظهر المنع تحقيقاً وإتقاناً في مثله آية نصا وتبياناً على إباحته بيضا وسودانا بالنص نهجا وبالإجماع برهانا إلا ذوو البخل أو من كان حيرانا أصلاً إذا وافق المنهاج ميزانا⁽³⁾ والعرض يحصنه بالحزم إحصانا	أتاي من نعم الرحمان مولانا أتاي من أطيب الأرزاق جوزهُ فالأصل في كل شيء الإباحة ما أتاي حلو حلال زينة وردت قد أجمع المسلمون اليوم قاطبة وليس من بعد دين ريبة وكفى لا يمتري اليوم في استحسانه أحدٌ به قضى العرف وهو من قواعدنا فالضيّف يبهجه والخل يطربه
--	---

(1) حمد الله : اسم مدينة تقع في مملكة ماسنة، وهي عاصمتها أيام الشيخ أحمد بري وأولاده، وموسانا جد لعلي بن النجيب.

(2) كان وإنكان : نوع من الكؤوس صغيرة الحجم يستخدمها أهل الصحراء في شرب الشاي، وهي مثل كؤوس الشاي الليبي حالياً.

(3) من قواعدنا : أي معشر المالكية.

فلا يفرط فيه غير ذي عته
ألا فمن يجنبه اليوم قد نزا
من كان ذا همة فليلتزم أبداً
فهو الضيافة والإحسان أكمله
ومن سقى ضيفه كأساً على عجل
ومن يداوم على تعجيله كرماً
يا صاحب الحزم لا تترك تعاطيه

غمر جهول عن الخيرات قد باناً⁽¹⁾
ثوب المروءة والإحسان حرماناً
تطليع مغرجة للناس إدماناً⁽²⁾
من لم يقدمه للأضياف قد هاناً
فقد أصاب ولو في كأس إنكاناً⁽³⁾
للزائرين فلا يعد خواناً
فإنه يقلب الأعداء إخواناً



(1) ذي عته : ذي حمق . والغمر : من لم يجرب الأمور .
(2) تطليع مغرجة : إغلاءه .
(3) إنكان : كأس صغير .